الفصل الثاني عشر :

فن الاستجواب الجنائي

- أهداف الاستجواب الجنائي .
- كيف يمكن حث المشتبه فيه على الكلام ؟
- النقد الموجه لنهج الاستجواب .
- دور تعديل اتجاهات المتهم .
- مناهج تشجيع المشتبه بهم على الاعتراف .
- كيف يتمكن المحقق من تشجيع المتهم على الكلام ؟
- ما هي سمات المحقق الكفء أو الجيد أو الممتاز ؟
- مصادر المعلومات عن فن الاستجواب الشرطي .
- مناهج استخلاص الاعتراف .
- الإجراءات التي تبطل الاعتراف .

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثاني عشر:

فن الاستجواب الجنائي

ملخص

لبحث فن الاستجواب الجنائي

يستعرض هذا البحث ، بصورة نقدية وعملية ، بضع الأساليب والمناهج التي يلجأ إليها المحققون لجمع الأدلة والمعلومات عن الجرائم التي تقع فعلاً .

من ذلك بيان أهداف الاستجواب الجنائي واستعراض التراث العلمي والعملي في هذا المجال الخصب واستعراض لبعض القضايا الجنائية التي نظرتها المحاكم وقضت فيها بالإدانة أو البراءة ، وكذلك كيفية قيام المحقق الجنائي بتشجيع المشتبه به وحثه على الكلام والإفصاح عن الحقيقة دون استخدام الضغط أو القهر أو الإرغام أو التحايل والكذب والغش والخداع ، ثم الانتقادات التي توجه لبعض المناهج التي تستخدم أساليب غير مقبولة من الناحية القانونية و الأخلاقية . وفكرة تعديل اتجاه المتهم نحو إيجابية الاعتراف وبيان أنه أكثر فائدة له عن الإنكار أو الصمت ، ويستعرض هذا البحث منهج الخطوات التسع ثم منهج الخطوات الخمسة عشر وبيان ما يصلح من كل خطوة وما لا يصلح وفائدة تكوين رابطة عاطفية بين المحقق والمتهم بالمثل كما يحدث في العلاج النفسي بين المريض والمعالج حتى يثق المريض في العلاج ويفصح له عما يعتمل في صدره .

obeikandl.com

Abstract

The Art of interrogating criminals

What are The factors which affect interviewing the suspects ? How can police officers obtain further information about a crime which has been committed ? what are the tactics which police use to make suspects talk ? This study reveals some tactics which are used to encourage uncooperative suspects to tell the truth . The aim of interrogation is not to obain confession, rather it aims to obain information about a given crime . If the interrogation is harsh the suspect may give false onfession . How to break the suspect's resistance to tell the truth ? one of the most important tactics to encourage the suspect to talk is to build an emotional rapport with him . The interviewer should encourage the suspect to change his mental attitude twords confession .

فن الاستجواب الجنائي

مقدمة :

الاستجواب الجنائي يحتاج إلى كثير من الخبرات والمهارات والقدرات فيمن يقوم به وكذلك يلزم أن تتسم شخصيته بالصبر والتكامل وسرعة البديهة والذكاء والقدرة على التصور والخيال وعلى ربط الأحداث . وهناك مناهج وأساليب حديثة ابتكرها العلماء في مجال علم النفس والصحة النفسية والخبراء في مجال الشرطة والقانون والبحث الجنائي لتسهيل عملية التحقيق الجنائي واستجواب المشتبه فيهم دون استعمال العنف أو القهر أو الإكراه أو الأذى البدني أو النفسي أي دون هدر حقوق الإنسان سعيًا وراء الحصول على المعلومات وجمع الأدلة أكثر من السعي فقط للحصول على اعتراف المتهم والإلحاح عليه للاعتراف ، ذلك لأن كثرة الإصرار والإلحاح قد تدفع المشتبه فيه على الاعتراف بجرائم لم يرتكبها في الواقع .

وفي البحث الحالي استعراض لأحدث المناهج والأساليب في مجال الاستجواب الجنائي تلك الأساليب المستمدة من التجارب العلمية التي أجريت في هذا الصدد في إنجلترا وأمريكا وبعض الدول الأوربية . كذلك بات من الواجب عدم اعتماد المحقق على خداع المتهم أو

غشه أو تضليله أو الإيحاء إليه بأحداث لم تحدث ذلك لأن لرسالة المحقق الجنائي أخلاقيات رفيعة لا بد من احترمها .

أهداف الاستجواب الجنائي :

يستهدف استجواب المشتبه فيهم the suspects الحصول على اكبر قدر من المعلومات والحقائق على الظروف والملابسات حول جريمة معينة ، وذلك بمعرفة رجال الشرطة أو رجال النيابة أو القضاة ، على شرط أن تكون هذه المعلومات صادقة وصحيحة وليست مجرد تزييف من المتهم أو محاولة منه للإفلات من الإدانة ، وتشتيت ذهن المحقق ، وإبعاده عن حقائق الجريمة ، وعن الأدلة التي تدين هذا المتهم أو ذاك ، بعبارة أخرى يستهدف الاستجواب الوصول إلى الحقيقة حول الجريمة التي تم ارتكابها the crime which has been committed .

الاعتقاد السائد لدى رجال الأمن أن المشتبه فيه في الغالب ما يكون مذنبًا في الواقع والحقيقة ، وأنه لذلك لا يظهر تعاونًا مع هيئات التحقيق ، ويفضل أن يظل صامتًا ، وذلك في أثناء المقابلات التي يجريها رجال الشرطة يضطرون لإرغامه على الكلام أو إجباره على الإدلاء بما لديه من معلومات force the suspect to talk .

ولذلك كيف يمكن حث المشتبه فيه على الكلام ؟

أو كيف يمكن تشجيع المتهم على الحديث ؟ هل فعلاً جميع المتهمين لا يتعاونون مع سلطات التحقيق ؟ وهل جميعهم فعلاً يفضلون الصمت ؟

وفي الآونة الأخيرة ترددت الأنباء عن قيام السلطات الأمريكية سواء في سجن أبو غريب في العراق أو في معتقل جوانتنامو [1] في كوبا بممارسة التعذيب النفسي والجسدي بقصد انتزاع معلومات من الأسرى .

والحقيقة أن التراث العلمي والقضائي يكشف عن وجود حالات " اعترف " فيها المتهمون بجرائم لم يرتكبوها أي أعطوا اعترافات مزيفة false confessions وفي مصر في محافظة المنيا في قرية من قرى مركز بنى مزار اتهم شاب من أهل هذه القرية بالقيام ليلاً بتسلق

---

(1) من حسن الطالع أن الرئيس الأمريكي الجديد باراك أوباما قد أصدر قراره بغلق هذا السجن فور توليه الرئاسة مباشرة .

ثلاثة منازل متجاورة وقيامه بذبح عشرة أفراد ، منهم الرجال والنساء والأطفال ، الإناث والذكور من ثلاثة أسر مختلفين ، ثم قام بشق بطونهم جميعًا وقطع أعضائهم التناسلية وأخذها ، وقام بذبح عدد من الحمام فوق هذه الجثث ، وكان قد خدر هؤلاء الضحايا وهم نيام قبل ذبحهم ولذلك لم يستطع أحد منهم الاستغاثة أو طلب النجدة .

وتم القبض على هذا الشاب وكان مريضًا نفسيًا ويتلقى العلاج ، واعترف بالجريمة تفصيليًا ليس أمام الشرطة ، وحسب ولكن أمام النيابة العامة بل إنه قام أمام الجميع بتمثيل الجريمة بكل خطواتها وبالأداة التي استخدمها في ذبح الضحايا ، وتردد في القرية أن هناك خرافة تقول عن هناك كنزًا كبيرًا يلزم للعثور عليه وضع هذه الأعضاء التناسلية فوقه . والغريب في الأمر أن هذه الجريمة البشعة ارتكبت في وقت واحد ، وقيل أن هذا المتهم يعانى من الجنون ، ولذلك ارتكب هذه الجريمة التي يغلب عليها الشذوذ ، والغريب في أمر هذه القضية أن محكمة جنايات مدينة المنيا في صعيد مصر أصدرت حكمها ببراءة هذا المتهم ، وأشيع أن الشرطة لفقت لهذا الشاب هذه التهمة ، وأنه اعترف اعترافًا زائفًا وما زال سر هذه الجريمة غير معروف ، وسر اعتراف الشاب أيضًا غير معروف . وفي وسع النيابة العامة الطعن على هذا الحكم أمام محكمة النقض لإعادة محاكمة المتهم أمام دائرة أخرى أي محكمة أخرى إذا ما تم قبول الطعن بالنقض وفعلاً قامت النيابة العامة بنقض الحكم .

ومن الواضح في شأن هذه الجريمة أن الشرطة لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تلفق هذه التهمة لهذا الشاب ، وهى تهمة جنائية وليست سياسية ، كذلك فإن المتهم أمام النيابة العامة لا يمكن إطلاقًا أن يقع تحت تأثير التهديد أو التعذيب أو الإيذاء ، فالمتهم في مأمن كامل أمام النيابة ، ولذلك فإن فرض التلفيق غير مقبول إطلاقًا ، يضاف إلى هذا الاعتراف أن بقعًا من دماء المجني عليهم وجدت فوق جلباب المتهم ، وكذلك وجدت حذائه في مسرح الجريمة ، وأرشد عن أداة الجريمة التي استخدمها ، ولكن بسبب بناء منازل الضحايا من الطوب اللبن فلم تتمكن أجهزة البحث الجنائي من الحصول على بصمة المتهم . والغريب في القضية أن المتهم تم تحويله لمستشفى الأمراض العقلية لتقرير مدى سلامته العقلية ، أي إصابته بالجنون وقررت المستشفى أنه سليم عقليًا ، وبناء على ذلك لا يمكن إعفائه من المسئولية الجنائية تأسيسًا على الدفع بجنون المتهم .

حول هذه القضية الغريبة كتب الأستاذ الدكتور نبيل لوقا بباوي أستاذ القانون الجنائي بالقاهرة تحليلاً لهذا الحكم وردًا على فكرة التلفيق كما يلي ، وذلك بجريدة الوفد القاهرية :

البراءة في بنى مزار لا تعنى تلفيق الدليل :

هجمة شرسة على جهاز الشرطة بعد صدور الحكم من محكمة جنايات المنيا ببراءة المتهم في قضية بنى مزار ، والبعض اشترك بحسن نية بأن الأدلة ملفقة ولكني كأستاذ للقانون الجنائي أستطيع أن أؤكد أن حكم البراءة لا يعنى أن الدليل ملفق لأن عبء إثبات الاتهام طبقًا لقانون الإجراءات المصري يخضع لقاعدة البينة على من أدعى ، وعلى ذلك فإن عبء الإثبات في الدعوى الجنائية بأن ذلك المتهم هو مرتكب الجريمة يقع على المدعى وهو النيابة العامة ، وغير متصور أن النيابة العامة لها أي مصلحة في تلفيق الدليل أو الاشتراك في ذلك ، ويقع عبء الإثبات على النيابة العامة ، فعليها إثبات وقوع الجريمة ونسبتها على المتهم ، والنيابة العامة في أثناء التحقيق مع المتهم لها أن تستمع للشهود وندب الخبراء وعلى النيابة العامة أن تنتقل إلى مسرح الجريمة ومعها المتهم لكي يمثل كيفية ارتكاب الجريمة تفصيلاً من حيث كيفية الدخول لمسرح الجريمة والخروج من مسرح الجريمة وكيفية ارتكاب الجريمة تفصيلاً ، وذلك حتى تتأكد النيابة العامة أن المتهم هو الذي ارتكب الجريمة ويطمئن ضميرها أن المتهم هو مرتكب الجريمة ولا مصلحة للنيابة العامة في تلفيق أي أدلة في أثناء تمثيل المتهم ارتكابه الجريمة ، هذا بالإضافة إلى أنه في الجنايات يحضر محامى المتهم لكي يراقب التحقيق ويعترض على أي تصرفات غير قانونية لجهاز الشرطة أو للنيابة العامة ذاتها .

حتى لو كان هناك اعتراف من المتهم بارتكاب الجريمة ، يستطيع محامى المتهم أن يثبت أمام النيابة العامة وكذلك أمام المحكمة أنه تم إكراه المتهم إكراهًا معنويًا أدى إلى اعترافه وتمثيله على مسرح الجريمة بكيفية ارتكابه الجريمة لأن المادة 302 من قانون الإجراءات صريحة في نصها « كل قول يثبت أنه صدر من أحد المتهمين تحت وطأة الإكراه أو التهديد لا يعول عليه » ، ولا يوجد أي مصلحة للنيابة العامة في عدم الأخذ بالتهديد أو الإكراه الذي قد يقال أن جهاز الشرطة قد ارتكبه لأن 99٪ من القضايا يكون دفاع المتهم أن الدليل لفق له أو أنه اعترف بناء على إكراه ، ولا توجد أي مصلحة للنيابة العامة في التجني على المتهم ، وعلى ذلك مهمة تقديم الدليل للمحكمة هي مهمة النيابة وليست مهمة جهاز الشرطة ،

جهاز الشرطة يساعد النيابة فقط في جمع الأدلة ، والنيابة العامة تقيم الدليل وعلى ذلك فإن القول بأن جهاز الشرطة يلفق الأدلة قول فيه تجن على جهاز الشرطة أما تقدير الأدلة المقدمة من النيابة العامة للمحكمة فحسب قانون الإجراءات الجنائية وما استقرت عليه محكمة النقض تقدير الأدلة يترك للقاضي ولا رقابة عليه فيما يستنتجه مادام كان استنتاجه متفقًا مع العقل والمنطق وتقدير الأدلة للقاضي مسألة نسبية للقاضي لا رقيب عليه إلا ضميره والقانون ، وكذلك تقدير المحكمة لرأى الخبير غير ملزم لها أن تأخذ به ولها ألا تأخذ به تبعًا لاقتناعها وإذا أخذت برأي الخبير وجب على المحكمة تمكين الخصوم من مناقشته فكثير جدًا من قضايا المخدرات تأخذ براءة من المحكمة لعيب في الإجراءات وليس معنى ذلك أن الأدلة ملفقة ولكن القاضي لم يقتنع برغم أن تاجر المخدرات المضبوط مسجل خطر مخدرات ولديه عشرون قضية مخدرات سابقة ، وعلى ذلك لا داعي للهجة الشرسة بان الشرطة لفقت الأدلة لأن ذلك بعيد كل البعد عن الحقيقة . »

كيف يمكن تشجيع المشتبه فيه على الكلام ؟

لقد وضع العالمان Reid Intiau and Buckley في عام (1986) كتابًا شهيرًا في هذا المجال ويستعرض هذا الكتاب استجوابات مكثفة أو تحقيقات مكثفة extensive interrogation واعتنقا المؤلفان في هذا المؤلف منهجًا قاسيًا مع المتهمين مؤداه أن الاستجواب يستهدف كسر أو قهر مقاومة المتهم وعزوفه عن قول الحقيقة ، وكأنهما يفترضان مقدمًا أن المشتبه فيه هو في الحقيقة مذنب to break the suspect's resistance to tell the truth ويتنافى هذا الإجراء مع القاعدة الأصولية ولأخلاقية ، والتي تقل عن المتهم برئ حتى تثبت إدانته . ولقد وضع هذان العالمان منهجًا للاستجواب مكونًا من 9 نقاط للتطبيق على المشتبه فيهم ، والذين يظن بقوة أنهم فعلاً مذنبون . هذه الخطوات هي :

1) المواجهة الإيجابية للمتهم بالأدلة positive confrontation .
2) نمو الحديث في الموضوع theme development .
3) التعامل مع الأفكار أو نفى المتهم handing denial .
4) التعامل مع الاعتراضات overcoming objections .
5) الحرص على استمرار انتباه المتهم retain subject's attention .

6) التعامل مع الحالة المزاجية للمتهم handing the subjects mood .

7) خلق فرصة أمام المتهم للاعتراف creating an opportunity to confess .

8) الاعتراف الشفوي oral confession .

9) تحويل الاعتراف الشفوي إلى اعتراف مكتوب من المتهم converting an oral confession into a written one .

في الخطوة الأولى أي خطوة المواجهة الإيجابية يتم عرض أدلة حقيقية أو خيالية (تؤكد) تورط المتهم في الجريمة ، من ذلك أن يذكر المحقق أو المستجوب للمتهم بأن الأدلة المستمدة من البحث الذي قامت به الإدارة توضح "أنك الشخص الذي قتلت المجني عليه" our investigations .

وبعد توجيه هذا الاتهام accusation يتوقف المحقق لبرهة من الصمت ، وفي أثناء ذلك تتم ملاحظة سلوك المتهم بكل دقة ، والتعرف على مفاتيح الحقيقة عنده .

وبعد ذلك يعيد المحقق نفس الاتهام the interrogator repeats the accusation إذا فشل في الإنكار بعد هذا يستدل المحقق من ذلك أن هذا المتهم يميل إلى الغش والخداع deceptive ولاحظ على هذه الخطوة أنها تتنافى مع أخلاقيات التحقيق وقواعده ، إذ لا ينبغي أن يبلغ المحقق المتهم بأمور ليست حقيقية كأن يقول له إن شريكك في الجريمة قد اعترف عليك دون أن يكون ذلك من باب الحقيقة .

في الخطوة الثانية من مجريات التحقيق وهي المعروفة باسم نمو الكلام عن الموضوع theme development تختلف الإجراءات مع المتهم العاطفي عنها مع المتهم غير العاطفي . مع المتهم العاطفي يحاول المحقق أن يبنى شيئًا من الرابطة العاطفية مع المتهم rapport عن طريق مثلاً مبررات أو أعذار تبرر للمتهم ارتكابه الجريمة a moral excuse كأن يقول المحقق للمتهم « إن أي شخص لو كان في مكانك كان لا بد له من ارتكاب نفس الجريمة » بقصد تقليل الخطورة الأخلاقية لهذه الجريمة ، وكأن هناك دوافع مقبولة أخلاقيًا لهذه الجريمة ، أو يذهب المحقق إلى إدانة أناس آخرين غير المتهم وهكذا .

ويفترض في هذا الإجراء أن المتهم الذي يصغى جيدًا للمحقق في هذا الصدد يحتمل أن يكون مذنبًا مادام قد استمع باهتمام إلى هذه الاقتراحات التي قدمها له المحقق ، بمعنى تقليل

الجريمة وتقليل خطورتها وتقليل عقوبتها ولذلك يسمى هذا المنهج بمنهج التقليل أو التخفيض the minimization approach وفيه يحاول المحقق الشرطي the police interrogator أن يقنع المتهم بشعور زائف بالأمان والأمن عن طريق إظهار التعاطف مع المتهم sympathy بعض المتهمين ينهارون ويجهشون البكاء إثر هذا التعاطف ويدلون باعترافاتهم .

ومن أمثلة هذا التعاطف الزائف ما قاله المحقق لرجل متهم بجريمة اغتصاب .

« على فكرة لا يوجد أي امرأة تتواجد في الشارع وحدها وبمفردها في وقت متأخر من الليل ، ويبدو عليها الأنوثة والجنس الطاغي كما فعلت المجني عليها . . إنها قدمت إغراء قويًا لأي رجل سوى temptation إذا لم تكن هذه السيدة تتجول في الشارع وهي عارية تقريبًا فإنك لم تكن لتوجد في غرفة التحقيق الآن » .

أما المتهم غير العاطفي أو غير الانفعالي the non – emotional suspect فإنه يقابل التحقيق كما لو كان مباراة an interrogation لإثبات مقدار تحمله endurance ضغوط التحقيق ، ويضع قوة إرادته بكل طاقته ضد إصرار أو تصميم أو مثابرة المحقق the interrogator's persistence .

إصرار المتهم على الإنكار	يقابله ←	إصرار المحقق على معرفة الحقيقة

في هذا المنهج يدلى المحقق بكذبه حول أحد جوانب الجريمة ، ويقول المحقق للمتهم « أنت كذبت على مرة ، وأنت سوف تكذب على ثانية » ، وعلى ذلك يربط المتهم نفسه بمنظر أن مسرح الجريمة the scene of the crime ويؤكد له المحقق أن جميع الأدلة evidence تشير إلى ارتكابه الجريمة ، وأنه من الخطأ الإصرار على عدم قول الحقيقة وهكذا ، ويطلق على هذا المنهج اسم منهج المبالغة في التحقيق the maximization approach في هذا المنهج يحاول المحقق أن يدخل الخوف والرعب في عقل المتهم ، وأن يجره للاعتراف عن طريق المبالغة في تقدير خطوة الجريمة ، والمبالغة في العقوبة المفروضة عليها . وقد يوهمه بأن شاهدا قد شاهده ، وأن نتيجة تطبيق اختبار مقياس الكذب تؤكد تورطه في الجريمة lie–detector test أو الادعاء أمام المتهم بأن أجهزة البحث الجنائي قد وجدت بصمات المتهم في مسرح الجريمة fingerprints أو غير ذلك مما تكشف عنه الأدلة الشرعية forensic evidence مثل فحص فصيلة الدم .

وفي المرحلة الثالثة أو الخطوة الثالثة من خطوات الاستجواب الجنائي نتعامل مع إنكار المتهم ورفضه الاعتراف بأنه مذنب ، ولإنهاء هذا الإنكار عن طريق استخدام لمنهج الوارد في الخطوة الثانية ، ويقال إنه كلما كرر المتهم إنكاره كلما أصبح من الصعب على المحقق استخلاص الاعتراف أو قول الحقيقة .

ولقد لوحظ أن المتهم البريء لا يوافق على قطع إنكاره بينما المتهم المذنب يسمح للمحقق بالعودة على المحادثة من جديد أي أن المتهم البريء يصر على الإنكار ، ولكن المتهم المذنب يغير من خططه عن طريق تقديم أسباب توضح خطأ الاتهام the accusation كالقول : « إنا لا يمكن أن أفعل ذلك » أو القول « أنا لا أملك بندقية » أما الخطوة الرابعة ، فإنها تستهدف التغلب على هذه الاعتراضات objections من قبل المتهم والعودة إلى بدء المحادثة . كأن يقول المحقق هذا قد يكون حقيقة ولكن ، وهنا يشعر المتهم أن اعتراضاته ليست ذات قيمة أو فاعلية ، وهنا يبدو المتهم وكأنه غير متأكد ، ويبدو عليه محاولات الانسحاب ، وعلى المحقق أن يعيد انتباه المتهم إلى مجريات التحقيق .

في الخطوة الخامسة يمكن التقرب للمتهم فيزيقيًا كأن يستدير لمحقق نحوه ، أو أن يلاحظه أو لمسه بلطف وأن يناديه باسمه الأول ، وأن يظل ينظر إليه . في هذا الصدد ذكرت وكالات الأنباء عن بعض أسرى معتقل جوانتانامو الأمريكي قيام بعض النساء أو المحققات بآثار ة الأسرى جنسيًا بقصد انهيارهم واعترافهم وخاصة وأنهم كانا من شديدي التدين .

في الخطوة السادسة يتعامل المحقق مع ما يظهره المتهم م المزاج السلبي أو الحالة الانفعالية أو النفسية السلبية . يقدم المحقق لمتهم أسبابًا تجعله يرتكب الجريمة ، ويظهر أن يخلق جوًا من التعاطف والتأسي مع المتهم والرحمة معه بالإشارة إلى النتائج السلبية التي وقعت على المجني عليه .

والخطوة السابعة وفيها يستخدم المحقق أسئلة بديلة ، ويعطى المحقق الفرصة للمتهم لكي يظهر أو يعبر عن شرح أو تفسير أو عذر لارتكاب الجريمة ، وقد يؤدى هذا الإجراء إلى سهولة الحصول على الاعتراف admission كأن يقول للمتهم : هل كانت هذه فكرتك أنت ؟ أم أن هناك شخصًا ما هو الذي تحدث معك عنها » ؟ وقد يختار المتهم أيًا من هذه البدائل . اختياري أي بديل دليل على الاعتراف .

وإذا اختار المتهم أيًا من البدائل كان ذلك بمثابة اعتراف ، وتبدأ المرحلة الثامنة من خطوات الاستجواب الجنائي حيث تتضح الظروف والملابسات والوقائع والدوافع والأدوات المستخدمة في الجريمة ومكانها ووقت ارتكابها .

وينصح رجال القانون في هذا الصدد المحقق بأن تكون أسئلته قصيرة وواضح وتعبر عن فكرة واضحة أيضًا ، بحيث يستطيع المتهم أن يجيب على هذه الأسئلة إجابات قصيرة في كلمات قليلة ، ولا يجب أن تحتوى الأسئلة على عبارات انفعالية أو خشنة أو قاسية harsh ، ويجب أن يتحقق المحقق من أن المتهم يفهم لغته ويفهم أسلوبه وأن تكون اللغة في مستواه ، ففي التحقيق الجنائي مع شاب لا يقرأ ولا يكتب واجهة وكيل النيابة بالاتهام الموجه له قائلاً : " أنت متهم بالسرقة " ، فرد عليه المتهم قائلاً " فعلا أنا والله العظيم متهم " لأنه فهم عبارة متهم على أنه برئ كما يفهمها العامة .

أما الخطوة التاسعة فيتم فيها تحويل اعتراف المتهم الشفوي إلى اعتراف كتابي ، ذلك لأن هناك كثيرًا من المتهمين الذين يعودون إلى إنكار اعترافاتهم الشفوية .

هذا المنهج في الاستجواب يستهدف التعرف على المشتبه فيه البريء innocent والمشتبه فيه المذنب guilty .

النقد الذي يوجه لهذا المنهج القاسي في الاستجواب :

أولاً لا يتوخى هذا المنهج المبادئ الأخلاقية في الاستجواب التي تحظر إفادة المتهم بأكاذيب من أجل الحصول على اعتراف منه ، في هذا المنهج تتم ملاحظة استجابات المشتبه فيه اللفظية وغير اللفظية كالإشارات والإماءات والحركات التي يظهرها ، للتحقق عما إذا كان المشتبه فيه يروى الحقيقة أم لا ، الاستجابات اللفظية أو اللغوية التي يبديها المشتبه فيه غير الصادق تتضمن إشارات مثل :

1) تأخير الاستجابة أو الإجابة lelayed .
2) الإجابات الغامضة أو المبهمة أو غير الواضحة أو التي يقصد بها التملص evasive or vague .
3) التظاهر بفقدان أو ضعف الذاكرة .
4) حشر مسائل لا علاقة لها بالقضية .
5) التظاهر بالأدب الزائد عن الحد في طلب الأسئلة أو عند طلب إعادة السؤال .

6) ومن العلامات التي تشير أو توحي بقيام المتهم بغش المحقق deception من ذلك تغيرات في الوضع posture changes وكثرة التحرك الذاتي أو وضع اليد فوق الفم أو وضع المتهم يده فوق عينه عندما يتكلم أو أن يجلس فوق يديه حتى يخفيها أثناء الاستجواب أو إخفاء المتهم قدميه تحت الكرسي ، وقد لا يرد المتهم على أسئلة المحقق ، ولكنه يردد نفس الكلمة التي سمعها ثانية .

دور تعديل اتجاهات المتهم :

يمكن شرح مضمون هذا المنهج في الاستجواب الجنائي في ضوء الحقائق العلمية المعروفة حول الاتجاه العقلية mental attidutes وطرق تكوينها وتعديلها أو كالاتجاه القومية العربية أو نحو التضامن العربي . الاتجاه عبارة عن تقويم صاحبه لفرد آخر أو مجموعة من الأفراد أو مجتمع من المجتمعات أو موضوع من الموضوعات أو سلوك معين أو بعض الأشياء أو فكرة من الأفكار أو مذهب من المذاهب كالرأسمالية وما إلى ذلك ، والاتجاه هو مجموع ما لدى الفرد من معلومات حول موضوع معين وما يشعر به نحو هذا الموضوع من قبول أو رفض ، ومعرفتنا باتجاه فرد ما تساعد في التنبؤ بسلوكه ، كالشخص الموالى لاشتغال المرأة أو لعمل المرأة في مجال القضاء أو تولى المرأة الولاية على الرجال .

وعلى ذلك فإن الاتجاه العقلي لدى الفرد نحو الاعتراف confession يؤسس على ضوء الجوانب السلبية والإيجابية التي يدركها الفرد أو يعرفها نحو هذا الموضوع إذا كانت الجوانب الإيجابية كثير كتلك المصاحبة لفكرة توحد العرب كأن الاتجاه إيجابيًا وكلما كانت هذه الجوانب سلبية كان الاتجاه سلبيًا مثل الفكرة غير المقبولة في هذه الأيام حول تحويل المجتمع العربى الكبير إلى ما يعرف باسم الشرق الأوسط الكبير ، حيث تضيع الهوية العربية فيه .

وعلى ذلك فإن الإنسان يكون اتجاهًا إيجابيًا عندما تكون جوانبه أو آثاره أو نتائجه أكثر إيجابية عن رفض هذا الاتجاه ، وعلى ذلك حين يكون المحقق الجنائي اتجاهًا إيجابيًا لدى المتهم نحو الاعتراف ، فإنه لا بد وأن يظهر له محاسن وفوائد أو مزايا الاعتراف مقارنة بعدم الاعتراف ، لا بد أن يسعى المحقق الجنائي لإظهار الجوانب الإيجابية من الاعتراف ، وعليه بإقناع المتهم بذلك ، وعلى ذلك يصبح المتهم أكثر استعدادًا للاعتراف ، وذلك عن طريق تقليل الآثار السلبية للاعتراف بالجرم .

والمعروف أن الاعتراف يؤدى وإلى الإدانة والإنكار لا يؤدى إليها ، ولكن على المحقق أن يعطى المتهم انطباعًا أن الإنكار أيضًا سوف يقود إلى الإدانة conviction ويتأتى للمحقق عمل ذلك عن طريق إقناعه بأن سلطات التحقيق لديها ما يكفى للإدانة ، فالإدانة أمر واقع في ضوء المعلومات المتوفرة لدى هيئات التحقيق . ويوضح المحقق للمتهم فوائد الاعتراف ، ويضخم له نتائج عدم اعترافه ، وذلك من أجل تكوين اتجاه أكثر إيجابية نحو فكرة الاعتراف ، كلما زاد الاتجاه نحو الاعتراف كلما كان المتهم أميل إلى الاعتراف منه إلى الإنكار .

ولكن يخشى من هذا المنهج أن يقود أيضًا الأبرياء إلى الاعتراف كذلك بجرائم لم يرتكبوها ، ولكن هناك إجراءات غير قانونية unlawful يتضمنها هذا المنهج المكون من الخطوات لتسع ، من ذلك لجوء المحقق إلى الغش والخداع ، وتقديم أدلة خيالية ، وخلق جو زائف من الأمان أمام المتهم أو المبالغة الشديدة في خطورة الجريمة وما إلى ذلك من الإجراءات التي تتعارض مع القانون ومع أخلاقيات التحقيق .

في حالة شاب أتضح انه كان على جانب كبير من الشذوذ الجنسي ، كان يعمل في إحدى المعامل الكيميائية في إحدى الشركات في مدينة الإسكندرية ، أخذ في رش النساء في الشوارع بمادة كيميائية سائلة خفيفة تجعل الواحدة منهن تهرش في رجليها أو في فخذها ويختفي في وسط زحام المارة ، تم ضبطه والتعرف عليه وكانت السلطات تظن أنه يقوم بهذا العمل مدفوعًا باتجاهات دينية متعصبة ، وفي أثناء التحقيق معه أخبره المحقق بأن عليه أن يعترف وإلا تعرض لعقوبة الإعدام ، وانتهت حالته بالحكم عليه لمدة شهرين فقط .

في معظم قوانين الإجراءات الجنائية لا يؤخذ بالمعلومات المستمدة بالخداع أي الخداع أو المخادعة أو التحايل والغش ، والنصب أو الاحتيال أو الكذب على المتهم trickery and deceit الدليل لا بد وأن يكون مستمدًا بطريقة مشروعة .

المتهم الذي يعترف رغم إرادته من إجراء اعتقاده ببساطة الجريمة ، فقد تحكم عليه المحكمة بالإدانة إذا كانت هذه المحكمة لا ترفض الأدلة المستمدة من إقناع المتهم ببساطة الجريمة على اعتبار أن الاعتراف ليس وليدًا للإكراه أو التعذيب .

الاعتماد على خداع المتهم قد يقود إلى الحصول على اعترافات زائفة false confessions ، المذنب الحقيقي وكذلك الشخص البرئ قد يجد أنه من الفضل لهما الاعتراف أي اعتراف المذنب والبرئ أيضًا .

خداع المحقق للمتهم ← يقود إلى ← اعتراف المذنب والبريء أيضًا

ولا شك أن الغش والخداع والتحايل trickery and deceit تعد أساليب غير أخلاقية في العمل القضائي والشرطي unethical ومبتكرو هذا المنهج يعترفون بذلك ، ولكنهم يقولون إن هذا الإجراء له ما يبرره في التعامل مع المجرمين . ولكن لا يوجد دليل لدى المحقق على أن المتهم مذنب بالفعل . ويقولون إن المتهم لن تحركه سماع الأحاديث والمحاضرات عن الأخلاق morality ، ويقولون إنه يصعب أن نتصور أن ضمير القاتل سوف يحركه نحو الاعتراف بحرية إرادته ، ولذلك لا مانع ، في نظرهم ، من الاعتماد على أساليب غير أخلاقية كالغش والخداع والكذب .

ولكن كثيرًا من العلماء يقولون إن إتباع أساليب الغش سوف تفقد هيئة الشرطة ثقة المجتمع فيها ، بل إن خشونة الشرطة قد تدفع أناسًا كانوا على استعداد للاعتراف لرفض الاعتراف من باب العناد . وقد يشعر المتهم بالحنق تجاه الشرطة إذا استخدمت معه أساليب غير عادلة أو غير قانونية ، وقد يستمر هذا الشعور بالحنق تجاه الشرطة لسنوات طويلة ، وخاصة في شعارات وطنية تذهب إلى القول « إن الشرطة في خدمة الشعب » أو في خدمة المجتمع ويتنافى ذلك مع الرسالة الأخلاقية لرجال الشرطة .

ويقرر بعض الباحثين الأمريكان أن الخداع bluffing ليس منهجًا صحيحًا في الاستجواب ، ويضربون لذلك مثلاً لمحقق أخبر كذبًا لصًا بأن بصماته وجدت في مسرح الجريمة ، وإذا فرض وكان هذا اللص يرتدى قفازًا أثناء السرقة ، فإنه سوف يدرك أن هذه عبارة كاذبة من جانب المحقق ، وأنه سوف يشك في كل ما يقوله له المحقق بعد ذلك . كذلك فإنه يخشى أن يمتد كذب رجل الشرطة إلى كافة مجالات حياته إذا استعمله في الاستجواب ، ورجال الشرطة هم الذين يأتمنهم المجتمع على حياته وعلى ثرواته .

كذلك فإن حركات الجسم لا تدل على كذب من يقوم بها ، يصعب اكتشاف الكذب من خلال هذه الحركات أو الإيماءات . فقد تكون لوازم شخصية أو حركات عصبية معتادة عند الفرد .

مناهج تشجيع المشتبه بهم على الاعتراف :

في عام (1994) قامت العالمة kalbflesch, P.J . بجمع 80 كتابًا وبحثًا ومقالاً حول مناهج وطرق وأساليب تشجيع المشتبه بهم غير المتعاونين على الحديث ، تلك الأساليب التي

كانت مستعملة على يد المحققين في الحقل الجنائي من قبل رجال الشرطة وغيرهم . ولخصت هذه الطرق في (15) طريقة أو أسلوب . ويتضح من هذه الطرق أن كثيرًا منها يعتمد على فكرة تغيير أو تعديل الاتجاه وترتبط هذه المناهج بفكرة تدعيم الجوانب الإيجابية للاعتراف وبيان لجوانب السلبية أو الضارة لعدم الاعتراف :

1) التخويف والرعب والتهويل والإكراه بالتهديد intimidation .
2) العبث الموقفي situational futility .
3) آثار ة التعب ثم آثار ة الراحة Discomfort and relief .
4) الخداع والغش Bluff .
5) الحث الرقيق Gentle prods .
6) التقليل Minimization .
7) إظهار التناقض وكذب الأدلة Contradiction .
8) استخدام المعلومات المتغيرة Altered information .
9) إيجاد شق أو تصدع في الدفاع A chink in the defence .
10) كشف أو فضح الفرد ، تعتريه الذات self – disclosure .
11) الإشارة إلى مفاتيح الخداع في أقوال المتهم point out deceptive clues .
12) إظهار الاهتمام بالمتهم أو المشتبه به concern .
13) الحفاظ على مكانة المتهم Keeping the statuesque .
14) المنهج المباشر أو الطلب المباشر من المتهم بالإفصاح عن الحقيقة Direct opproach.
15) الصمت أو السكوت أو الكف عن الكلام من قبل المحقق silence .

في حالة الاعتماد على **التخويف والتهديد intimidation** يقوم المحقق بتوجيه سيل من الاتهامات للمتهم بأنه كاذب ثم يأخذ المحقق في الضحك عليه والطرق الشديد hammering بمعنى توجيه وإطلاق سيل من الاتهامات والانتقادات للمشتبه به accusations and criticisms هذه الطريقة تستخدم من أجل إرغام المتهم على قول الحقيقة . وفي حالة استخدام طريقة العبث بالموقف situational futility يقوم المحقق بإخطار المتهم بأن الحقيقة سوف تنكشف لا محالة في يوم من الأيام ، وأن الحقيقة سوف تظهر بالتأكيد ويقدم الموقف كما لو

كان الاستمرار في الغش سوف يجعل الأمور تسير بالنسبة للمتهم إلى الأسوأ ، ويوضح له عدة نتائج سوف تترتب على الاستمرار في الغشdeception والإنكار ، وأنه لا مكسب ولا ربح من الاستمرار في الغش والخداع ، مثل هذا الموقف سوف يقنع المتهم أن يكشف عن الحقيقة وعن أسرار القضية .

أما فكرة إثار ة التعب ثم الراحة **discomfort and relief** فتقوم على أساس توضيح للمتهم أن إنكاره وكذبه يسبب له فقط عدم الراحة وفي حين أن البديل وهو الاعتراف أمر جيد بالنسبة له ، وقد يقوم المحقق فعلاً بتحسين أوضاع السجين عندما يعترف بشيء ، ثم يعود إلى إساءة معاملته إذا رفض الاستمرار في الاعتراف .

أما طريقة الخداع والغش **Bluff** ففيها يقدم المحقق بعضًا من الأدلة المفبركة أو الملفقة والتي توحي بأن المتهم قد كذب ، هنا يشعر المتهم بغياب أي أمل في البراءة ، وهنا سوف تنكسر إرادة المقاومة لدى المتهم . وفي حالة الاعتماد على طريقة الحث الرقيق gentle prods ففيها يتم تشجيع المتهم على الحديث والاستمرار في الحديث عن طريق قيام المحقق بأن يطلب منه توضيحات أكثر وتفاصيل أكثر ودقة اكبر فيما قرره كأن يقول له أذكر لنا على وجه التحديد ما الذي حدث وفي نفس أو لقت يمتدح المحقق المتهم . وفي حالة استخدام طريقة التقليل من شأن الجريمة minimization عن طريق إظهار ظروف تحتم على المتهم ارتكاب الجريمة وإظهار بعض من الأعذار له أو إظهار دوافعه لارتكاب الجريمة أو تقليل دلالة فعل أو توجيه اللوم لشخص آخر أو يوضح للمتهم أن أي شخص آخر كان في موقعه سوف يرتكب نفس الجريمة للتظاهر بالتقليل من شأن هذه الجريمة . هذه الوسائل التي تسهل عملية الاعتراف . أما الاعتماد على التناقضات contradictions فتقوم على أسس إظهار المحقق لجوانب التناقض أو التعارض أو عدم الثبات في تفسيرات المتهم . وفي أقواله كأن يقول المتهم أنا أغمى على في الحال ثم يأخذ في سرد الوقائع والأحداث . ويستطيع أن يخلق المحقق هذا الموقف عن طريق إعادة سؤال سبق له أن وجهه للمتهم وتلقى إجابة عليه ، ويأخذ في إدراك وجوه الاختلاف بين إجابة المتهم الأولى والثانية كأن يقول المتهم كانت الدنيا ظلام دامس ثم يقول وقرأت رقم السيارة ، وإدراك المحقق لهذه التناقضات في أقوال المتهم يجعل المتهم يدرك أنه لا سبيل للتهريب من الاعتراف .

وفي طريقة المعلومات المتغيرة altered information تتم عن طريق توجيه سؤال للمتهم يحتوى على معلومات خاطئة ، وإذا قام المتهم بتصويب هذه المعلومات كان ذلك دليلا على انه يقول الحقيقة .

أما طريقة إيجاد شق أو تصدع في الدفاع chink in the defence فيتكون هذا المنهج من خطوتين :

الأولى يحصل فيها المحقق على نقطة صغيرة من المتهم ، ثم يستخدم هذه كموضع قدم foothold يتحرك من خلاله أي مجرد وضع قدمه لإيهام المتهم بأنه قد خدع المحقق ، بمعنى أنه يقول له « إذا كذبت في شيء ما الذي يجعلني أضمن أنك لم تكذب في الأمور الأخرى»

أما طريقة كشف الذات **self-disclosure** هنا يقوم المحقق بإظهار أشياء حول المتهم ، وعلى ذلك فإن المتهم سوف يكشف عن معلومات شخصية عن فسه أيضًا ويعتمد هذا المنهج على فكرة تبادل الأفكار أو المقابلة بين الأشياء reciprocity كأن يذكر تاريخ ميلاده ومكان ولادته ومحل إقامته ونوع عمله وأقاربه .

وفي طريقة الإشارة إلى مفاتيح الخداع أو نواحي الخداع pointing out deception cues هنا يخبر المحقق المتهم بأنه قد أظهر بعض العلامات الفيزيقية أو الجسمية التي تؤكد خداعه وغشه مثل أنه يتصبب عرقًا ، وأن صوته قد تغير ، هذه الطريقة لا تعتمد على إظهار حقيقي للخداع من جانب المتهم ، ولكن يعتمد هذا المنهج على الاعتقاد الشخصي للمتهم أن هذه الإشارة مرتبطة بالكذب . مثل هذا المنهج سوف يقنع المتهم أنه غير ناجح في كذبه ، كذلك فإن لمحقق يظهر اهتمامه بالمتهم concern ، وملاحظة المتهم وكل استجاباته وحركاته وإيماءاته وإشارته ونظراته تؤخذ في الحسبان عند تطبيق اختبار كشاف الكذب ، كأن يقول له « إنك شخص مهم بالنسبة لي ، وفي بعض الجوانب أنه في الحقيقة معجب بك ، أنا أفهم ما تشعر أنت به ، أنا شخصيًا قد أتصرف مثلما تصرفت أنت بنفس الطريقة » ، هذا "التعاطف" سوف يخلق جوًا يسهل على المتهم أن يكشف عن الحقيقة .

أما فكرة المحافظة على مكانة المتهم **keeping the status quo** هنا يخبر المحقق أن مكانته في خطر أو معرضه للخطر إذا اكتشف الناس « أنك تكذب وأن استمرارك في الكذب سوف يخفض من شعورك باحترام ذاتك self-esteem إذا استمر المتهم في الكذب ، مما

يضيف إلى تكلفة الكذب أو تكلفة الاستمرار في إخفاء الحقيقة ، وعلى ذلك سوف يساعد هذا في الكشف عن الحقيقة .

أما الاتجاه المباشر direct approach هنا يخبر المحقق المتهم مباشرة وبصراحة أن عليه أن يقول الحقيقة ، لأنه من الناحية الأخلاقية ذكر الحقيقة أمر مطلوب ومرغوب فيه . أما فكرة الصمت silence فمؤداها أن يلتزم المحقق الصمت بعد أن يكون المتهم قد ذكر شيئًا ما . ويفترض أن هذا يشعر المتهم بعدم الراحة ، وسوف يحاول أن يملأ هذا الفراغ أي هذا السكون ، حيث يتحدث المتهم لملء هذا الفراغ وقد يتناول حديثه ظروف الجريمة .

مدى انتشار هذه المناهج :

وبالطبع لا نعرف على وجه التحديد كم من هذه المناهج يستعملها المحققون . لقد لاحظ أحد الباحثين الأمريكان 182 تحقيقًا بعضها واقعي والبعض الآخر شاهده في شريط فيديو interrogations تمت ممارستها في ولاية كاليفورنيا في أمريكا ووجد أن لمحققين استخدموا في المتوسط 5.62 منهجًا tactics في التحقيق الواحد ، بمعنى استخدام المحقق أكثر من طريقة للحصول على الحقيقة من المتهم ، من ذلك مواجهة المتهم بأدلة مزيفة ، وعن طريق تقليل الخطورة الأخلاقية للجريمة المطروحة وما إلى ذلك وليس من الضروري أن يلتزم المحقق بمنهج واحد من هذه المناهج .

والخطورة مع هذه الخطوات أنها ليست جزءًا من نظام عام لجمع المعلومات أو للتحري information-gathering system ولكنها مؤسسة على افتراض ليس من الضروري أن يكون صحيحًا ، وهو أن المتهم قد ارتكب فعلاً الجريمة . والحقيقة أن الاستجواب أو المقابلة لا يقصد بها الحصول بالضرورة على اعتراف ما لأن ذلك قد يتضمن بعض الأضرار ، من حيث أن البوليس يفقد الفرصة في الحصول على الأدلة الصائبة والمؤيدة corroborative evidence وإن كان بعضًا من هذه المناهج لا يرغم المتهم على الاعتراف . بعضها قد يسهل عملية الاتصال بين المحقق والمتهم ، حيث يشعر المتهم بالراح في جلسات التحقيق .

كيف يتمكن المحقق من تشجيع المتهم على الكلام ؟

لقد فكر بعض العلماء في أساليب أخرى ليست عدوانية أو غير قانونية ولا تقوم على

كذب المحقق أو خداعه trickery and deceit أو غيرها مما يخلق ضغطًا نفسيًا على المتهم ، كذلك تم رفض اتخاذ المؤشرات أو العلامات غير اللفظية كمؤشرات على خداع المتهم للمحقق ، وتم انتهاج أساليب أخرى تعتمد على التخطيط والإعداد preparation, planning and rapport وكذلك تكوين رابطة عاطفية بين المحقق والمتهم أو خلق جو من الثقة بينهما وفكرة تكوين رابطة عاطفية ، هذه ضرورية في العلاج النفسي بين المعالج والمريض ، ولذلك نتساءل مع القارئ الكريم عن سمات المحقق الجيد :

ما هي سمات المحقق الكفء أو الجيد أو الممتاز ؟

يحتاج إلى قدرات ومهارات اجتماعية وعقلية وخبرة بالقانون ، من ذلك ضرورة الإعداد للمقابلة أو للتحقيق ، وعليه أن يحدد الاتهام جيدًا allegations وبوضوح ، وبهدوء ، ولا يضع افتراضات عما يجب أن تكون عليه الإجابات أو الاستجابات لهذا الاتهام . عليه أن يستمع جيدًا لما يقوله المتهم ، وعليه أن يواجه إنكار المتهم عندما تتعارض مع الأدلة المتوفرة في التحقيق ، دون تسرع أو قوة أو تأسد على المتهم وهو في حالة ضعف harrying or bullying مع السيطرة على جو التحقيق بحزم . ويلزم أن يكون لديه مهارات جيدة في الاتصال مع توفر المهارات الاجتماعية ، مع الالتزام بالمزاج الهادئ والصبر وكذلك الرقة واللطف مع حدة الذهن واليقظة والدقة والتنظيم والترتيب subtlety disposition مع القدرة على الاستجابة السريعة اللازمة وبمرونة مع ضرورة اكتساب المعرفة بالقانون معرفة جيدة وقدر من الخيال .

وهناك دراسات كثيرة وحديثة تؤيد فكرة هذه العناصر الثلاثة في المحقق الجيد وهي :

(أ) التخطيط . (ب) العاطفة .

(ج) المهارات الاجتماعية .

فلقد تأيدت فكرة التخطيط والإعداد للمقابلة الاستجوابية investigative interviews ، ولقد وجد أن التخطيط للتحقيق يخفف من وطأة الضغط على المحقق أثناء التحقيق . وهنا يستطيع المحقق أن يستخدم كثيرًا من المهارات المعرفية أو العقلية أو القدرة العقلية في التحقيق . كذلك فإن تكوين الرابط العاطفي يساعد على خلق جو من المرونة والثقة مما يساعد المتهم على الحديث .

وفي دراسة أمريكية استمع أحد علماء النفس إلى 69 تحقيقًا في شريط فيديو أجراها رجال الشرطة مع بعض المتهمين ، وتبين أن المحقق الناجح كان أكثر قدرة في التواصل أو الاتصال وإظهار قدر من المرونة والتعاطف empathy and compassion وكذلك وجد أن المحقق الناجح عليه أن يكون عادلاً وأن يكون منفتح العقل ، وأن يجيد فن الاستماع ، وأن يظل متكاملاً ، قد يكون حازمًا ولكن دون استخدام حيل أو خدع . ولكن هناك بعض المتهمين الذين يرفضون الكلام نهائيًا ويؤثرون الصمت التام .

هناك مناهج تحاول كسر مقاومة المتهم بينما هناك مناهج أخرى تستهدف جمع المعلومات ، ويلزم لذلك بعض المهارات للحصول على المعلومات الدقيقة والتي تفيد التحقيق .

في هذه المناهج الأخيرة لا تختلف المقابلة في التحقيق عن المقابلة في مجالات أخرى مثل مجالات المرضى ومجالات الاختيار المهني والتوجيه المهني والإرشاد المهني التأهيل والزواج وكذلك الترقية ، فالمريض قد يكذب مع طبيبه ، وكذلك طالب العمل قد يكذب في المقابلة طمعًا في الحصول على الوظيفة ، ويجب أن ينصب سعي المحقق على الوصول للحقيقة ، وأن يخلق جوًا يشجع المتهم على الحديث الصادق .

وهناك فروق في التحقيق ترجع إلى المكان الذي يمارس فيه ، ففي الولايات الأمريكية المتحدة يتم السماح باستخدام الكذب والخداع والضغط على المتهم ، ولكن في إنجلترا لا يسمح بمثل هذه الإجراءات في التحقيقات ، وخاصة بعد صدور قانون في عام 1986 بشأن الشرطة والأدلة الجنائية The police and criminal evidence Act (PACE) لأن تطبيق هذه الطرق يجعل الاعترافات عديمة الجدوى كذلك فإن هذا القانون تضمن تشريعات جديدة new legislations لضبط عملية القبض على المتهمين وحبسهم واستجوابهم detained ، وكان هذا القانون يستهدف حماية المتهم وكذلك حماية رجال الشرطة من التعرض للمساءلة لخرق القانون أو إيذاء المشتبه فيهم .

ولذلك لا يخضع المتهم لضغط غير مبرر من قبل الشرطة أو الاضطهاد والقمع والغم والنكد police tricks and oppression والظلم وفي حالة ما يكون المتهم قابلاً للشعور بالحرج vulnerable يتم استدعاء طرق ثالث لحضور التحقيق لمساعدة المتهم وخاصة إذا كان المتهم طفلاً ، كذلك يقضي هذا القانون بأن جميع التحقيقات التي تجرى في أقسام الشرطة يتم

تسجيلها على شرائط فيديو . ويتمكن المحامون من الإطلاع على هذه الشرائط وكذلك القضاة والمحلفون ، وعلى ذلك فإنه يمكن ضبط أي خروج عن القانون في علمية الاستجواب .

هناك دعوة في إنجلترا للاهتمام بالتشريع legislation لمنع استخدام الشدة في المقابلات الاستجوابية less oppressive police investigative interview techniques ولقد تأثر هذا القانون بما حدث في قضيتين هناك لما حدث فيها من إساءة للعدالة البريطانية حتي تم فيهما الحصول على اعترافات مزيفة من إجراء ممارسة الضغط على المتهمين .

وبالغرم من تشجيع التحقيقات التي تستهدف جمع المعلومات في إنجلترا ، إلا أن غالبية التحقيقات ما زالت تستهدف الحصول على اعترافات المتهمين ، وقلة فقط هي التي تستهدف الحصول على المعلومات أو جمع المعلومات.

ففي دراسة ميدانية في إنجلترا تمت مراجعة (157) مقابلة مع مشتبه بهم ، وتبين أن هناك (83٪) منها كان الهدف هو الحصول على الاعتراف.

وفي دراسة أخرى شملت عددًا أكبر من التحقيقات بلغ عددها (1067) تحقيقًا وجد (80٪) منها كان الهدف الرئيسي منها هو الحصول على اعتراف من المتهمين.

ويرجع السبب في ذلك إلى أن الاعتراف يعد الأساس الأولى الكفيل بصدور الحكم بالإدانة في إنجلترا ، الاعتراف دليل أولى ويكفى لصدور الحكم بالإدانة حتى في غياب أدلة أخرى مؤيدة corroborating evidence ، ويرجع ذلك إلى أن الاعتراف يختصر الوقت والجهد اللازمين لجمع أدلة أخرى يتم الحصول عليها بأساليب شاقة ، كذلك فإن المتهم الذي يعترف يكون الأكثر احتمالاً أن يحكم عليه بالإدانة plead guilty وكثير من الاتهامات كان لها أن تسقط لولا ظهور الاعتراف prosecutions وتبلغ هذه النسبة 25٪ من إجمالي الاهتمامات.

كذلك ينظر للاعتراف على أنه علامة من علامات كفاءة رجل الشرطة ، ولقد وجد أن المحلفين يشعرون بالاضطراب للحكم بالإدانة في حالة اعتراف المتهم أكثر من وجود أدلة أخرى ، ومن بينها شهادة شهود العيان وتعرفهم على الفاعل . ولكن في دولة أوروبية أخرى لا يؤخذ بالاعتراف وحده ، لابد من جمع أدلة أخرى بجانبه ، وهناك تجرى تحقيقات كثيرة مستهدفة جمع المعلومات حول الجريمة كذلك لا يتم تسجيل المقابلات هناك أو تصويرها .

ومن الملاحظات المؤسفة في بعض التحقيقات أن المحقق يلقى السؤال على المتهم أو الشاهد أو المبلغ ويكتب هو الإجابة من عنده ولا يلتزم بأقوال الشاهد إطلاقًا أو لا يلتزم بها حرفيًا مع أن القانون يقضى بأن يقرر في محضره أن المتهم تمت أقواله وتليت عليه وأقرها وأقفل المحضر في ساعته وتاريخه ووقع المتهم وهو أمر لا يحدث في كثير من التحقيقات .

المراجع :

- بهنام ، رمسيس (1979) علم النفس القضائي ، سبيل السمو بمرفق العدالة إلى مزيد من الأداء والفعالية ، منشأة المعارف ، الإسكندرية/ مصر.
- الشربيني ، لطفي ، (2001) الطب النفسي والقانون ، أحكام وتشريعات الأمراض النفسية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان.
- مراد ، عبد الفتاح ، (ب ت) التحقيق الجنائي التطبيقي ، الناشر ، المؤلف نفسه ، الإسكندرية/ المنشية/ مصر.
- مرسى ، عبد الواحد إمام ، (1993) التحقيق الجنائي علم وفن ، بين النظرية والتطبيق ، المؤلف نفسه ، القاهرة.
- Memon, A . And others, (1998) psyehology and law, truthfulness, accuracy and credibility, Mc Graw- Hill Company, London.
- Reber, A.S., (1995) Penguin Dictionary of Psychology, Penguin Books. London .
- Wrightman, L.S., (2001) forensic psychology www .Wadsworth.com, U.S.A.

استجوابات الشرطة والحصول على الاعترافات

تهتم جميع المجتمعات بمنع هدر أو خرق القانون ، والعادات والتقاليد والتوقعات الاجتماعية Law violations وتسعى للمحافظة على القانون والنظام والحقوق ، والأشخاص الذين تشك الشرطة في ارتكابهم بعض الجرائم تخضعهم للاستجوابات بغية الحصول منهم على الاعترافات أو المعلومات التي تساعد الشرطة في أداء رسالتها سواء حيال هذه الجريمة أو غيرها . وأول شكل من أشكال الشرطة ظهر في مصر القديمة عام 2000 قبل الميلاد . وتعبر اللوحات والرسوم والنقوش عن عملية استجواب الشرطة للمشتبه فيهم ، وتظهر بعضهم وهم يتعرضون للضرب مع تقييد الأرجل والأيدي مع اشتراك أكثر من رجل شرطة في عملية الضرب والاستجواب هذه . وكان أحد الضباط يشرف ويلاحظ هذه العملية . والآن يقرر رجال الشرطة ورجال الإدارة أن السلوك العدواني أو التعذيب في الاستجواب أصبح مسألة غير قانونية Intimidating is illegal أي الإكراه والتخويف والرعب والتهويل والتهديد والاعترافات المنتزعة من أصحابها على هذا النحو أصبحت محل شك القضاة By coercion أي القسر والإكراه والإجبار . وهناك قاعدة مؤداها أنه يتعين على المحقق أن يخطر المشتبه فيه بأنه من حقه أن يوكل مدافعًا عنه Attorney ، ولقد تبين أن استخدام هذا الحق قلل من معدلات الحكم بالإدانة Conviction ، ولكن رجال الشرطة يعتبرون أنفسهم أعضاء في مهنة ، لها ممارسات متفق عليها مستمدة من قوة القانون ومن الذوق العام ومن التقاليد المرعية. (Wrightsman, L.S., 2001: 148)

وكي يتمكنوا من أداء رسالتهم في حفظ الأمن لابد من إعطائهم بعضًا من السلطات:

أهداف الاستجواب الشرطي

- الحصول على معلومات إضافية حول الدعوى
- الحصول على الاعترافات بارتكاب الجرائم.

وتفسح المعلومات الطريق أمام مزيد من البحث الجنائي ، من ذلك الحصول على أماكن الأدلة المادية أو الفيزيقية ، كالأداة المستخدمة في الجريمة ، أو مكان إخفاء المسروقات أو

جثث القتلى ، والحصول على تفاصيل أخرى عن جرائم أخرى يكون المشتبه فيه قد اشترك فيها هو أو غيره إلى جانب الشركاء Accomplicesم لاستكشاف القضية وحل ما بها من الغموض ، وليس من الضروري أن ينتهي الاستجواب بالاعتراف المكتوب أو الشفوي . وليس الهدف الوحيد هو البحث عن الاعتراف ، وعن الإدانة ، وإنما هو في المحل الأول كشف الحقيقة the truth . (Wrightsman, L.S., 2001: 148)

وهناك مراجع وكتب تحدد خطوات الاستجواب الشرطي . الحماس الزائد في الحصول على الاعتراف قد يجعل رجل الشرطة يخيف المتهم ويرهقه ويزعجه مما يدفعه إلى الخلاص من حالة الألم والتعذيب "بالاعتراف" الكاذب.

عندما يخاف الإنسان خوفًا شديدًا ، فإنه يستجيب استجابة انسحابية من الموقف أو يهجم على الخصم ، وفي حالة الاستجواب يكون المتهم ضعيفًا لا يهجم ولكنه ينسحب . كذلك فإن المشتبه فيه قد يسحب تعاونه مع المحقق في حالة الخوف والرعب ، أو في حالة وقوع العدوان عليه . أحيانًا يستمر المحقق في ممارسة الضغط على المشتبه فيه ، إذا شعر أنه اقترب من الاعتراف ، وقد يظهر عليه علامات التشويش . وهناك رأى يقول إن المحقق يأخذ المشتبه فيه بعيدًا عن موقف الخوف هذا ، ويخفف من وطأة الضغط ، حتى يصل على الاعتراف بصورة طبيعية . والمهم أن يعلم رجل البوليس أن المتهمين يعترفون لأسباب متعددة . أهمية الاعتراف أو التورط في الجريمة حتى العبارات الكاذبة من الممكن أن يستفيد منها المحقق ، لأنها مظهر من مظاهر الدفاع الخيالي عن المتهم . (Wrightsman, L.S., 2001: 149).

وهناك قاعدة في التحقيقات الجنائية الأمريكية تعطى الحق للمتهم بالتشاور أولاً مع محاميه قبل الاستجواب.

مصادر المعلومات عن فن الاستجواب الشرطي:

من مصادر المعلومات عن فن الاستجواب الشرطي الجنائي عدة مؤلفات أمريكية صدرت لتغطية هذا الفن Police guidelines for interrogations لا شك أن معظم رجال الشرطة خبراء في فن الاستجواب ، ولديهم مهارات عالية في هذا الفن ، وهناك تراث غزير في هذا الفن . وبطبيعة الحال فإن القدامى منهم يقدمون الإرشادات للجدد ، ومع ذلك هناك عدة مؤلفات صدرت في هذا المجال الخصيب أي مجال البحث الجنائي Criminal investigation.

1) The gentle art of interviewing and interrogation by Royal and Schutt 1976.

ويركز على فن المقابلة والاستجواب

2) Fundamentals of criminal investingation by O'Hara and O'Hara 1980.

وهو مجلد ضخم يقع في 900 صفحة ، ويركز على الاستجواب والاعتراف وإجراءات الشرطة الأخرى.

3) Criminal interrogation and confession by Fnban, Reid and Bukley 1986.

يتضمن خطوات الاستجواب ، أو توجيه الأسئلة ، واستخلاص الاعترافات من المشتبه فيهم.

4) The confession: interrogation and criminal profiles for police officers, By Macdonald and Michave 1987.

ومؤلفه طبيب عقلي ومفتش مباحث Police detective ويتضمن عددًا من الأمثلة والاستجوابات التي تقود للاعتراف.

5) Police interrogation: handbook for investingators, by Walkley 1987.

موجه لضباط الشرطة ، وكان أول كتاب يصدر في المملكة البريطانية المتحدة في هذا التخصص المهني والفني الهام.

ورجل الشرطة مطالب بأن يؤدى عمله بمهنية خالصة ، بمعنى توخى الدقة والأمانة والموضوعية والصدق والخبرة والحياد وذلك في أثناء عمل التحقيقات والاستجوابات وإجراء المعاينات . ولا شك أن ممارسة كثيرًا من الضغط والتهديد على المتهم ، قد يعوق قدرته على الحكم الصائب وهى قدرة عقلية من الممكن أن تهتز تحت وطأة الضغط . فالحالة الانفعالية تؤثر في تفكير الإنسان وفي استجاباته وفي تذكره وأحكامه . ولذلك يمكن أن يفتتح المحقق التحقيق بعبارات إيجابية ، كأن يقول للمتهم: "نحن الآن نبحث اليوم في واقعة سرقة مسلحة ، ونحن نعتقد أنك تستطيع أن تساعدنا في ذلك".

من الأمور المستعملة مع المتهمين الكذب عليهم ، وعمل "المقالب" من ذلك تفسير الحقائق تفسيرًا خاطئًا في الدعوى ، كأن يقول رجل الشرطة للمتهم بأن متهمًا آخر قد اعترف عليه ، وذكر اسمه ، وقال إنه هو الذي كان يحمل السلاح . وإخطار المتهم كذبًا بأن زوجته قد اعترفت عليه ، وبأنه هو الذي يمتلك كمية الكوكايين المضبوطة . وإخضاع المتهم لعملية

التعرف عليه ، وفيها يتم التقاطه بصورة مسرحية Staged identification حيث يقف مع طابور من الناس ويطلب من الشاهد التعرف عليه وأنه هو المتهم في الجريمة Culprit . ويمكن خداع المتهم بجريمة قتل بالقول بأن المجني عليه مازال حيًا أو القول له أن المجني عليه قد عفا عنه . واستخدام الأساليب التي تؤثر في انفعالات المتهم ، وفي معتقداته ، أو في ظروفه الطبية ، أو إخباره بأنه إن لم يعترف فإن رجل الشرطة المسئول سوف يفقد وظيفته وأسرته وأن أسرته سوف تعاني كثيرًا . والتظاهر بالمودة والتعاطف الزائف مع المتهم وإظهار الصداقة والاهتمام به أو تقديم مشروب أو نحوه له . وتكليف السجناء الآخرين بمراقبة سلوك المتهم ، واستغلال مشاعره الخرافية في جذبه للاعتراف ، وإعطائه وعدًا بالسرية التامة على ما يقوله . وعدم ذكر الحقائق التي إذا عرفها المتهم لا يعترف . إخباره بأن شقيقته قد وكلت له محاميًا للدفاع عنه ، وجاء وسأل عنه ، وعما إذا كان قد تم استجوابه ، والتظاهر أمامه بأنه لا يوجد أية أدلة في صالحه. **(Wrightsman, L.S., 2001 : 151)**

ومواجهة المتهم بأدلة ضده غير موجودة في واقع الحال . وقد يتم الاستجواب الشرطي في السجن أو خارجه ، وقد يتم فورًا أو بعد الإعداد له . والمفروض أن يعقب الجريمة فورًا أو يعقب القبض على المتهم قبل أن يفكر في فبركة الإجابة ويعد نفسه للإنكار والإفلات يستجوب قبل أن تمتد إله يد "الصنعة" . الاستجواب أكثر شمولاً من مجرد المقابلة الشخصية . وهناك ما يعرف باسم التلاعب أو المناورة وخاصة بأساليب غير قوية Manipulative tactics في استجوابات الشرطة للحصول على الاعترافات والمعلومات المرتبطة بالدعوى الجنائية.

وفي وقت مبكر يرجع إلى عام (1962) وضع أحد العلماء (16) قاعدة لسلامة الاستجواب الشرطي لإرشاد رجل الشرطة في إجراء الاستجوابات على الوجه الصحيح ، وخاصة مع المتهم الذي يصر على الإنكار . من ذلك الاتجاه إلى التقليل من خطورة الجريمة في نظر المتهم Minimization وفيه يظهر المحقق نوعًا من التعاطف مع المتهم أو حفظ ماء الوجه وإبداء الأعذار أو إعطاء مبررات أخلاقية أو معنوية أمام المتهم . ويعيد المحقق تصوير أو وصف جريمته أو إسهامه فيها ، والتقليل من خطورتها . بقوله "ليس ذلك غريبًا أو مستبعدًا أو إنني رأيت آلاف الحالات في مثل هذا الموقف . الظرف الخارجي هو الذي اضطرك لعمل ذلك".

وتصوير الحالة على أنها كانت دفاعًا عن الذات Self–defense أو كان المتهم مدفوعًا بالعاطفة ، أو أنها مجرد إهمال بسيط . أو زيح اللوم لشخص آخر كالمجني عليه ، أو أن المجني عليه هو الذي آثار ه ودفعه لذلك أو أغراه على ارتكاب الجريمة . ومن أمثلة ذلك أن رجلاً كان متهمًا بالاعتداء الجنسي على فتاة في سن العاشر فقط ، ولكن المحقق قاله له إنها كانت "ناضجة" وأنها كانت تعرف الكثير عن الجنس من خلال الأطفال الذكور.ربما تكون هي التي آثار تك كي تعرف ماذا أنت فاعل" . ذلك لأن الاعتداء على الصغيرة عقوبته أكثر من الاعتداء على الكبيرة . وفي جريمة أخرى كان المتهم قد كسر الشباك ودخل وسرق عددًا من زجاجات الخمر ، قال له: إن صاحب المنزل ما كان له أن يترك كل هذه الزجاجات في الشباك حتى لا يغرى الشرفاء من أمثالك بسرقتها".

المنهج الآخر هو المبالغة Maximiation وهو عكس الاتجاه الأول . لتخويف المتهم وإرغامه على الاعتراف عن طريق المبالغة في خطورة الجريمة وفي حجم الخسائر ونتائج الجريمة . وكذلك قد يلجأ إلى إقناع المتهم بأن لديه أدلة قاطعة ودامغة تدينه بارتكاب الجريمة ، وبناء على حقائق ثابتة ومستقلة . من ذلك أيضًا المبالغة في حجم المبلغ المسروق ، ففي حالة سرقة كان المبلغ المسروق عشرين ألفًا ، ولكن المحقق قال له إنه ثمانين ألفًا من الدولارات الأمريكية فقد يرد عليه المتهم بذكر المبلغ الصحيح . وقد يدعى المحقق أن لديه أدلة قاطعة حديثة ، حيث حصلوا على بصمات أصابعه في مسرح الجريمة The suspect's fingerints at the crime scene . وقد يكلف المحقق رجل شرطة آخر للحضور ، وتمثيل دور شاهد عيان للجريمة ، ويتعرف على المتهم من وسط جماعة المشاهدة من وسط المتهمين A lineup وقد يلاحظ المحقق بعض العلامات الجسمية على المتهم مثل جفاف الفم أو العرق أو الإتيان بحركات عصبية أو انخفاض عينيه ، وهناك ما يعرف باسم الأسئلة المرهقة أو التي يعذب بها المتهم Baiting questions وليس من الضروري أن تكون متضمنة اتهامات ، ولكنها توحي إلى المتهم بوجود بعض الأدلة ضده ، والتي تربطه بالجريمة.فقد يسأل المحقق المتهم: "اسمع يا جورج هل يوجد أي سبب تستطيع أن تفكر فيه لماذا قال أحد جيران مدام مارى أنه قد شاهد سيارتك أمام منزلها في ذات الليلة؟".

ودون أن ينتظر المحقق الإجابة: يقول للمتهم الآن أنا لا أتهمك بأي شيء ، ربما أنت

فقط أوقفت السيارة كي تسأل عما إذا كانت موجودة أم لا" . وتحمل هذه الأسئلة انطباعًا قويًا للمتهم بأن البوليس لديه أدلة قوية ضده ، وأن الإجابة معروفة تمامًا لدى رجال الشرطة . وأنهم يعرفون كل شيء عنه وعن الجريمة . ومن الأساليب المتبعة في الاستجواب الشرطي بناء نوع من التعاطف مع المتهم Building rapport أي علاقة شخصية "ويظهر المحقق نوعًا من التعاطف والتفاهم والاحترام من خلال رياء المتهم أو من خلال بعض الحركات ، كأن يقدم له سيجارة أو مشروبًا . وبعد ذلك يأخذ المحقق في إقناع المتهم الاعتراف في صالحه.

(Wrightsman, L.S., 2001: 153).

وهناك طريقة يتبعها بعض رجال الشرطة الأمريكان تسمى Mutt and jeff tactic وتسمى أيضًا أحيانًا Playing good – cop, bad cop وفيها يحضر أحد المحققين ، ويتظاهر بالعدوانية والشدة بينما يظهر الآخر بأنه اكتسب ثقة المتهم عن طريق تظاهره بأنه يحاول حمايته ومساعدته . وقد يستعمل المفتش مزيجًا من هذه المناهج ، كإظهار التعاطف ، والتقليل ، ويحاول أن يؤثر في المشاعر الإنسانية للمتهم ، وقد يلامسه برقة ، ويحاول إقناع المتهم بأنه: فعلاً بعض الناس تعمل بعض الخطاء والشرطة تفهم ذلك ، وأنه يريد فقط أن يساعده.

المحكمة العليا الأمريكية ترفض الخداع والاحتيال Faud . ولقد أجرى باحث أمريكي دراسة تناولت في عام (1991) 127 استجوابًا خلال 11 أسبوعًا . لمعرفة المناهج والطرق المستعملة في هذه الاستجوابات ، وقام الباحث باستجواب ضباط الشرطة،ووكلاء النيابة ، كما استجوب بعض المتهمين السابقين . ولقد وجد أن هناك (65٪) من الاستجوابات خضعت لمنهج علمي معروف ، وفي الغالب استعمل المحقق في المتوسط منهجين معًا لكل متهم . وأقوى منهج كان إغراق المتهم بالأدلة المحكمة لغرس شعور قوى لديه بالذنب ، وأنه من الأسهل له أن يعترف بدوره في الجريمة ، مع إظهار التعاطف والاهتمام براحته وسعادته ، مع الاتجاه نحو تقليل خطورة الجريمة ، وإسناد الخطأ في الجريمة إلى ظروف أخرى خارجية ، والإشارة إلى عصبيته التي تعكس شعوره بالجرح مع عدم اللجوء على استخدام القسوة الفيزيقية . واستخدام البعض التهديد بإنزال عقوبات أشد بالمتهم . وفي قليل من الحالات أخبرهم البوليس بأنه سوف يعمل مشاكل لأسرهم ولأصدقائهم إذا رفضوا التعاون.

وتم استخدام أساليب للإقناع . عندما يكون هناك أشخاص آخرون يلاحظون عملية

الاستجواب ، فإن استخدام الإكراه يقل . وقد يقنعه المحقق أنه من الأمور الجيدة أن يزيح الإنسان ما يكثم على صدره من الأسرار ويبوح بها . أو التأثير على شعور المتهم باحترامه لذاته . ولقد لاحظ أحد العلماء الأمريكان (182) استجوابًا شرطيًا ، بعضها ملاحظة حية أثناء إجراء الاستجوابات ، والبعض الآخر لاحظ تسجيلاتها . ووجد أن المحقق قد يستخدم أكثر من خمسة طرق من طرائق الاستجواب في المتهم الواحد . من ذلك ملاحظة ما قد يود من تناقضات في أقوال المتهم ، أو مواجهة المتهم ، بأدلة (زائفة) ، وكذلك تقليل شأن الجريمة كأن يمتدح المحقق المتهم إلى جانب الخداع . ولقد لوحظ تطبيق المناهج الآتية:

مناهج استخلاص الاعتراف :

1) تصوير الحقائق الخاصة بالدعوى وعرضها بصورة خاطئة.
2) استغلال انفعالات المتهم أو عقائده.
3) عدم إحاطة المتهم ببعض الحقائق أو الظروف تلك التي تجعل المتهم يبتعد عن الاعتراف.

والحقيقة أن المحاكم تتردد في قبول مناهج الاستجواب هذه ، ففي حالة متهم أمريكي بالقتل ، تم إخباره ، بالكذب ، عن طريق الشرطة أن بقعة من دم المجني عليه كانت فوق ملابسه" سرواله" On his pants وأن علامات حذائه وجدت في مسرح الجريمة ، وأن هناك شاهد عيان شاهده في مسرح الجريمة . على جانب هذه الأكاذيب حاول المحقق أيضًا التخويف والإكراه Intimidation إلى جانب تلفيق أدلة كوضع الدم ، وبصمات الأصابع ، فوق سكين تشبه السكين المستعملة في الجريمة . ولذلك اعترف هذا المتهم ، ولكن اعترافه كان قصة ركيكة ، وبعد ذلك تراجع عن اعترافه هذا ، وقال إنه كان وليد الإكراه.

ومعظم المحاكم ترفض الاعترافات المستمدة بأساليب المقالب أو الكذب والخداع والتحايل والمخادعة والاحتيال Trickery. (Wrightsman, L . S., 2001:155)

وتضح المحكمة العليا الأمريكية The supreme court وكذلك محاكم الاستئناف Appellate courts قيودًا على استجوابات الشرطة لمنعها من التجاوزات أو الخروج عن الحدود المسموح بها . ففي جريمة قتل تم القبض على المتهم ، وتم إخباره بأن زميله تم القبض عليه ، واعتراف أنه كان معه في جريمة القتل "كذبًا" وأنك في مشكلة عويصة الآن . ولكن رفض الحديث وبعد ذلك أخبره المحقق أن المجني عليه تشاجر معه بسبب ممارسة

جنسية مثلية وحينئذ بدأ في الاعتراف وأدين وطعن على الحكم بأن اعترافه لم يكن إراديًا ، ولكنه كان عن طريق المقالب والخداع والاحتيال Trickery.ولكن المحكمة العليا لم تقبل هذا الطعن . ويجب أخذ جميع الظروف ككل في الحسبان . ولكن لوحظ أن الاستجواب لم يستغرق سوى 45 دقيقة بعد القبض على المتهم مباشرة في قسم الشرطة ، وتم تسجيل الاستجواب . ويبدو أن إحاطة المتهم بأن ابن عمه اعترف عليه لم يؤثر على اعترافه هو . ولم يكن هذا هو السبب الرئيسي الذي عليه أقام عليه دعواه في الطعن ، وإنما كان السبب الرئيس هو رفض الشرطة استدعاء محاميه . النظرة الكلية لكل الأدلة ولكل الإجراءات البوليسية بما فيها مسألة المقالب . **(Wrightsman, L.S., 2001: 156)**.

عندما يكذب البوليس على المتهم ، ويقرر له أن شاهدًا شاهده في مسرح الجريمة ، فإنه إذا لم يكن قد ذهب إلى هذا المكان ، فإنه سوف يدرك أن الشرطة تكذب ، وبالتالي لا يعترف . ولكن علماء النفس يعتقدون أن المتهم قد يصدق هذا . ولكن ما هي الإجراءات غير القانونية أو الباطلة والتي تبطل ، بدورها ، إجراءات التحقيق؟ ، من ذلك الإكراه الجسدي والنفسي Both physical and psychological coercion لأنهما قد يؤديان إلى اعتراف الأبرياء . استخدام القوة الفيزيقية وإساءة الاستعمال والسحل والتهديد بالإيذاء أو بالعقاب والعزلة الطولية أو الحرمان من الطعام أو النوم ، وعدم إحاطة المتهم بحقه في توكيل محامى ، والتأثير النفسي،والوعد بتخفيف الحكم أو اللين معه أو التساهل والرفق معه Leniency ومن ذلك تظاهر المحقق بأنهم تلقوا إشارة هاتفية تفيد إجراء القبض على زوجة المتهم . ولقد اعتبرت المحكمة هذا الإجراء قهري Coerced ، ولذلك قد يعترف المتهم ضد إرادته . التهديد بإنزال الأذى بالمتهم أو بأقاربه أو بممتلكاته . هذه كلها إساءات نفسية . الاعتراف قد يحدث بدافع الهرب من العقاب المصاحب للاستجواب . وإعطاء وعد للمتهم بأنه إذا اعترف فسوف يفرج عنه ولن يحاكم ، وسوف تعتذر له الحكومة ، أو أنه سوف يلقى حكمًا بسيطًا أقل مما يحدده القانون . كل هذا سوف يهدر الاعتراف . حتى وإن قرر المحقق أنه سوف يتصل بالسلطات ، ويطلب منها ذلك . وكذلك في حالة ما يكون المتهم متهمًا في أكثر من جريمة ، ويعرفه المحقق أنه إذا اعترف بواحدة فلن يحاكم بالأخرى ، وذلك في شكل مساومة مع المتهم . ويمكن حصر هذه الظروف التي تهدر الاعتراف كما يلي:

الإجراءات التي تبطل الاعتراف:

1) الوعود . 2) التهديدات . 3) الأكاذيب .

هل الإجراء أدى إلى اعتراف المتهم اعترافًا كاذبًا؟ إذا كان الأمر كذلك فإنه لا يؤخذ في الحسبان في المحاكمة.

المحاكم تفترض أن المتهم ، حين تساء استعمالاته ، يستسلم للضغط ، ويعترف بالذنب ، حتى وإن كان بريئًا حتى يتحاشى المزيد من الألم . هذا الافتراض صائب.ولكن الكذب على المتهم لا يقبله علماء النفس كثيرًا وقد يحدث خلاف في الرأي بين الموقف القضائي والموقف السيكولوجي Judicial and psychological assumptions وهناك حالات حرم فيها المتهم من استخدام الهاتف ، ومن مقابلة الزوار . وهناك حالات تم فيها استجواب المتهم لمدة (36) ساعة فيما يتعلق بوفاة زوجة المتهم . هذا الاستجواب المكثف جعل القاضي يتشكك في صحته . ولكن قرارات المحكمة العليا في الصدد غير ثابتة ، وذاتية في الواقع . ولكن الاستجوابات المطولة مستمرة حتى الآن . **(Wrightsman, L.S., 2001:158)**

يستهدف علماء النفس المساعدة في تحسين وتجويد إجراءات الاستجواب ويعتقد كثير من علماء النفس بأن التزييف في التحقيق يؤدى إلى اعترافات زائفة أيضًا:

الكذب والتلاعب في التحقيق ← يقود إلى ← اعترافات باطلة

والهدف تحسين إجراءات التحقيق ، وقد يتطلب ذلك تسجيل الاستجوابات ، لإمكان مراجعتها . قد يعتقد بعض رجال الشرطة أن جميع المشتبه فيهم مذنبون . ولكن هناك عوامل كثيرة تؤثر في الاعتراف ، منها الإيحاء ، والإكراه ، والكذب ، والوعود ، والتعاطف الكاذب ، من المتهم . المتهم ، تحت ظروف القبض عليه قد يصدق ما يرويه له رجل الشرطة . هناك أسئلة مضللة تؤدى إلى إجابات زائفة ، وخاصة في حالة القلق ، وقلة احترام الذات ، وضعف الذاكرة ، ونقص في توكيد الذات ، أو إثبات الذات . ويؤثر في المتهم الحرمان من النوم ، ويجعله أكثر قابلية للإيحاء . الحالة النفسية تؤثر في الاعترافات.

ولقد تبين أن الاستجواب الجيد يلزم أن يخطط له من قبل . كيف نحصل على أكثر المعلومات إفادة للتحقيق؟ ويلزم لذلك قراءة كل أوراق التحقيق بما في ذلك البلاغات ،

ومعاينة مسرح الجريمة ، والكشف على المتهم ، ومعرفة قدراته ، ودراسة جرائمه السابقة ، أو الإطلاع على سجله الإجرامي ، والأشخاص الذين اعتدى عليهم ، فلقد توجد لديهم معلومات مفيدة للتحقيق . فكلما زادت معرفتك ومعلوماتك بالمتهم زادت قدرتك على عمل الاستجواب الجيد . وقد تفهم نقاط الضعف عنده . ومعرفة اعترافاته السابقة في الجرائم السابقة ، وهنا يبدو التعاون مع رجال الشرطة فيما بينهم . كذلك تؤثر العوامل الفسيولوجية المحيطة بالتحقيق في استجابات المشتبه فيه . الغرفة يجب أن تكون معدة ومهيأة لذلك ، ومنع الضوضاء وعوامل تشتيت الذهن منها ، وضبط العوامل في بيئة التحقيق . ويجب أن تخلو من الأمور التي تبعث الخوف في نفس المتهم ، ويجب أن يكون المحقق وحده مع المتهم في الغرفة ، مع استبعاد عوامل تشتيت الانتباه ، أو العوامل التي تؤيد المشتبه فيه ، وضبط الأصوات في غرفة التحقيق ، مع وجود قليل من الأثاث . المرأة قد تبكي أو تصيح في أثناء التحقيق للسيطرة على المحقق ، وعليه إظهار الحزم والحسم والثبات و السلطة ، وهناك طريقة تعرف باسم منهج المسح الشامل وإمعان النظر Scan technique وفيه يطلب المحقق من المتهم أن يذكر له كل ما عمله في يوم الحادث بما في ذلك عدة ساعات قبل الحادث وعدة ساعات بعده . ويستمع إليه المحقق دون مقاطعة ، ولكنه يركز على درجات الدقة وسرد التفاصيل في كل المواقف . وماذا كان يفعل في وقت وقوع الحادثة؟ ويتعرف على الأحداث والوقائع والأنشطة التي وقعت قبل الحادثة . وقد يظهر للمحقق أن المتهم حاول أن يخفى سلوك الجريمة. **(Wrightsman, L.S., 2001:161)**

هل يستطيع رجل الشرطة معرفة الكذب من الصدق في أقوال المتهم؟ من الصعب جدًا التمييز بين الصدق والكذب . وهناك قاعدة الآن تقضي بضرورة تسجيل استجوابات الشرطة في أمريكا وفي إنجلترا ، لإمكان الرجوع إليها وإعادة فحصها ، ولكن ما يعرض على جماعة المحلفين ليس التسجيل كله ولكن فقط اعتراف المتهم النهائي . والمحكمة تهتم في النهاية بالتعرف عما إذا كان الاعتراف إراديًا أم غير إرادي.

(Wrightsman, L . S., 2001: 162)

عملية الاستجواب فن مهني رفيع يقوم به رجال الشرطة أو النيابة أو سلطات التحقيق في المخالفات الإدارية يحتاج لقدر كبير من الخبرة والدراية والمران والتدريب والاستبصار

والوعي وفوق كل ذلك يحتاج إلى قدر من الأمانة والصدق والموضوعية والحيدة والالتزام بالمهنية وعدم التأثر بالميول أو المؤثرات السياسية أو السلطات العليا.

المصدر:

1) Wrightsman, L.S., (2001), Forensic psychology, Wadsworth, co . London.

obeikandl.com